أَرْجَحيَّة عَقْله الشريف ﷺ

على سائر العُقول

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة ١٠٤ حتى الصفحة ١٣٠

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

أرجحية عقله الشريف ﷺ على سائر العقول

العقل مَوْهبَة إلهية وهبه الله تعالى للإنسان ، وشرَّفه به على جميع أنواع الحيوان ، به يَعرف العاقلُ حَسَنَ الأشياء وقبيحها ، وكمالها ونقصانها ، وبه يعلم خيرَ الخَيْرَيْنِ وشَرَّ الشرَّيْن[1] .

ولقد بلغ سيدنا محمدٌ ﷺ رسولُ الله تعالى ، من أرجحيَّة العقل وكماله الغايةَ القصوى التي لم يبلغها أحد سواه ، وذلك بنعمة الله تعالى وفضله عليه ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ ن . والقلمِ وما يَسطُرون . ما أنتَ بنعمةِ ربِّك بمجنون ﴾ أي : أنت في أعلى مستوى كمال العقل وسمو الفكر ، فلقد أقسم سبحانه بقوله : ﴿ ن ﴾ وهو المَدَد الإلهي الفياض ، وبالقلم الأوَّل المستفيض ، وبما يسطِّرُه المسطرون في المستوى الأعلى ، الذي سمع رسول الله ﷺ صريفَ أقلامه ، وما تسطِّره الأقلام المستمدة من القلم الأول .

أقسم بهذا القسم العظيم على سعة عقل هذا الرسول الكريم ﷺ ،

---

(١) وقد ذكر الإمام الغزالي رضي الله عنه مراتب العقول ، وأن بعض مراتب العقل ينتهي إلى بعض ، إذا ارتفعت الحجب والقواطع ، فارجع إلى تفاصيل ذلك في كتبه .

وإنه ليس فيه شائبة جنون ، وإنما هو صاحبُ العقل الأكمل ، والعلم الواسع الأفضل ، وأنه كيف لا يكون عقله فوق كل العقول ، وقد أنعم الله عليه وأكرمه فخصَّه بالنبوَّة الجامعة والخاتمة ، والرسالة العامَّة ، ونزول القرآن الجامع للعلوم كلها ، فإنَّ هذه النعم لا يتحملها إلاَّ من خصَّه الله تعالى بأكمل العقول وأرجحها ولذا قال : ﴿ ما أنتَ بنعمةِ ربِّك بمجنون ﴾ أي : ما أنت بسبب نعمة ربك عليك بالنبوة والرسالة ، والقرآن الجامع لأنواع العلوم والحكمة ، ما أنت بمجنون ـ فهو ينفي ما اختلقه أعداؤه ﷺ ، ويُثبت له بالدليل القاطع أرجحيَّة العقل والحكمة .

وذلك أن من أُوحي إليه القرآن الجامع للعلوم والمعارف ، وأُوحي إليه الحكمة العالية التي هي فوق كل حكمة ، كيف يُتصوَّر أن يكون فيه شائبة خلل أو نقص ؟! .

﴿ وإن لك لأجراً ﴾ أي : بسبب صبرك على طعنهم بك .

﴿ غيرَ ممنون ﴾ غير مقطوع .

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ فهو ﷺ أكمل خلق الله عقلاً كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : أفضلُ الناس أعقلُ الناس ، وذلك نبيكم محمد ﷺ .

وقال وهب بن منبِّه التابعي الثقة ، الذي روى له الشيخان وغيرهما : (قرأتُ في أحدٍ وسبعين كتاباً ـ أي : من الكتب السابقة ـ فوجدتُ في جميعها ، أنَّ الله تعالى لم يعطِ جميعَ الناس من بدء الدنيا إلى

انقضائها ، من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلاَّ كحبة رمل من جميع رمال الدنيا ، وأن محمداً ﷺ أرجحُ الناس عقلاً ، وأفضلهم رأياً[1]) .

وإنَّ العقل الكامل هو الأصل الذي تنشأ عنه الخصال الحميدة ، والمواهب الرشيدة ، وبه تُقتبس الفضائل ، وتجتنب الرذائل ، وهو الذي يُسْلِم صاحِبَه إلى مجامع الخير والفضل ، كما ورد في حديث إسلام خالد بن الوليد ، حين دخل على رسول الله ﷺ ، فسلم عليه بالنبوَّة ، قال : (فردَّ عليَّ السلام بوجهٍ طَلْق ، فقلتُ : إني أشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأنك رسول الله .

فقال له ﷺ : « تعالَ » فأقبل .

فقال رسولُ الله ﷺ : « الحمدُ لله الذي هداكَ ، قد كنتُ أرى لكَ عقلاً ، رجوتُ أن لا يُسلمَك إلا إلى الخير . . » الحديث .

وروى الطبراني[2] عن قُرَّة بن هبيرة رضي الله عنه أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال : (إنه كان لنا أربابٌ وربَّاتٌ نعبدُهنَّ من دون الله عزَّ وجل ، فدعوناهنَّ فلم يُجبن ، وسألناهنَّ فلم يُعطينَ ، فجئناك ، فهدانا الله بك ، فنحن نعبدُ الله) .

فقال رسول الله ﷺ : « قد أفلحَ مَن رُزقَ لُبّاً » .

فقال : (يا رسول الله ألْبسْني ثوبين من ثيابك قد لبستَهما) فكساه .

---

(١) كما في شرح المواهب .

(٢) قال في (مجمع الزوائد) : فيه راو لم يسم ، وبقية رجاله ثقات .

فلما كان بالموقف من عرفات ، قال رسول الله ﷺ : « أَعِدْ عليَّ مقالتَك » فأعاد عليه .

فقال رسولُ الله ﷺ : « قد أفلح مَنْ رُزِقَ لُبّاً » أي : عقلاً راجحاً اهتدى به إلى الإسلام ، وفعل المأمورات ، وترك المنهيات . قال تعالى : ﴿ إنما يتذكَّرُ أولوا الألباب ﴾ .

وفي هذا بيان منه ﷺ أن العقل الرجيح ، يُلزِم صاحبَه بالتمسك بهذا الدين الإسلامي ، لأنه دين كامل صحيح ، وهو غاية بغية العقل الرجيح ، كما رُوِيَ عنه ﷺ : « رأس العقل بعد الإيمان بالله : الحياءُ وحُسْنُ الخُلُق »[1] .

لأنَّ الإسلام هو الدين المحكم ، وهو المعقول المبرم ، قال الله تعالى : ﴿ إنا أَنزلناه قُرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ أي : تعقلون معانيه وأوامره ومناهيه ، فتعلمون يقيناً أنه لا يأمركم إلا بما هو خيرٌ لكم ، ولا ينهاكم إلا عمّا هو شر لكم .

كما قال ابن مسعود : (إذا سمعتَ الله يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فأرْعِها سمعَك ، فكل من استمعَ إلى هذا الدين وعَقَلَه ووعاه وفهمه ، لا بد أن يُسلم له ويستسلم إليه) .

ولما دخل الأعرابيُّ الفطريُّ العاقلُ على رسول الله ﷺ وبيَّن له ﷺ أوامرَ الإسلام ومناهيه ، فخرج الأعرابيُّ وأعلن إسلامَه فقال له قومُه : بمَ عرفتَ أنَّه رسول الله ؟

---

(١) رواه صاحب (الفردوس) عن أنس ، وضعفه النسائي ، كما في (فيض القدير) .

فقال الأعرابي : ما أمر محمدٌ ﷺ بأمر قال العقل : ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شيءٍ فقال : ليتَه أمرَ به .

وقد أدرك عبد المطلب حقيَّة الآخرة بعقله ، وذلك أنه قال يوماً : ما مِن ظالم يشتدُّ ظلمه إلا انتقم الله منه قبل أن يموت .

فقيل له : فلان جار وطغى !

فقال : انتقم الله منه يوم كذا .

فقيل له : فلان .

فقال : انتقم الله منه يوم كذا .

فقيل له : فلان جار وطغى ولم يُصبْه شيء !

ففكَّر طويلاً ثم قال : إذاً لا بدَّ من يوم آخر ينتقم الله منه .

وإلى ذلك نبَّه الله تعالى العقلاء فقال سبحانه : ﴿ أمْ حَسب الذين اجترحوا السّيِّئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصَّالحات سواءً محياهم ومماتهم ؟! ساء ما يحكمون وخلق الله السَّموات والأرض بالحقِّ ولتُجزى كلُّ نفْس بما كسبَتْ وهم لا يُظْلَمون ﴾ .

ومن ثَمَّ قال تعالى مخبراً عمَّا يقول الكفَّارُ يوم القيامة : ﴿ وقالوا : لو كنَّا نسمعُ أو نعقلُ ما كنَّا في أصحاب السعير ﴾ يعني : أنهم لو سمعوا لهذا الدين لعلموا وعقلوا أوامره ، ومعانيه وحِكَمه وأحكامه ، لكنهم عمُوا وصمُّوا .

وعن الحسن البصري مرسلاً يرفعه : « لمَّا خلقَ الله العقلَ قال له :

أَقبِلْ فأقبلَ ، ثم قال له : أدبر فأدبَرَ ، فقال : ما خلقتُ خلقاً أحبَّ إليَّ منكَ ، بك آخذُ وبك أُعطي » .

فأحبُّ العقولِ إلى الله تعالى هو عقل سيدنا محمد ﷺ ، لأنه أكمل العقول وأرجحها وأوسعها .

ويتجلى لك كمالُ عقله ﷺ وسعةُ فكره ، في جميع قضاياه وأعماله وأقواله وأحواله ، ونحن نذكر لك أطرافاً موجزة هي قطرة من بحره ﷺ

أولاً - إن مواجهته ﷺ للعالم الذي انتشرت الجاهلية الجهلاء في جميع طبقاته ومللِه : عربهم وعجمهم ، حتى إنهم ضلَّت عقولهم ، وجهلوا دينَهم ، وصاروا يعبدون أوثاناً وأحجاراً نحتَتْها أيديهم ، وربما صنَع أحدُهم صنماً صغيراً من تمر أو عجوة فعبده مدة مديدة ، حتى إذا جاعَ أكله ! .

فمواجهة هذه العقلية الصخْرة المتحجِّرة المنحرفة ، وتحويلها إلى عقلية لطيفة سليمة صائبة ، لهو أمر كبير يحتاج إلى عقل رجيح ، وفكر صحيح ، وقوة بيان ، وفصاحة لسان ، وبرهان ساطع ، ودليل قاطع ، وتحمُّل وأناة ، وحلم وصفح ، وعلم واسع بمختلف الحجج وأنواع الأساليب .

ولا ريب أنَّ جميع ذلك كان بتعاليم أحكم الحاكمين ، وبوحي ربِّ العالمين ، فإنه سبحانه هو الذي خطَّ له طريق الدعوة ، وبين له أساليبها ، وأوضح له مناهجها ، ليسير عليها ، كما قال سبحانه : ﴿ ادْعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعِظَةِ الحسنة وجادلهم بالتي هي

أحسنُ إنَّ رَبَّكَ هو أعلمُ بمَنْ ضلَّ عن سبيلِهِ ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

ولكنَّ التعاليمَ الإلهية والإيحاءآت الربانيَّة ، لا بدَّ لها من عقلٍ كبير ، مشرق منير ، قد أعدَّه الله تعالى لحملها ، ثم تطبيقها وتنزيلها في منازلها اللائقة بها ، فإن الناس تتفاوتُ مراتبهم .

فمنهم : من إذا عُرضتْ عليه الحكمة سلَّمَ لها ، واستسلم لأمرها .

ومنهم : من أخذت بنفسِه الشهواتُ المفرطةُ مأخذَها ، فيحتاج إلى وعظ وتذكير بسوء ما يعمل ، وعواقب ما يقترف .

ومنهم : من تسلطت على قلبه الشبهات الاعتقاديّة الفاسدة ، فهو يحتاج إلى ما يزيلها من قلبه بالحجج القاطعة ، والجدل بالتي هي أحسن .

ولذا نوَّعَ الله تعالى أساليبَ الدعوة ، لأنَّ كلَّ أسلوبٍ له موقعه وأثره وموضعه .

ومن هنا يُعلم يقيناً أن أعقلَ العقلاءِ هو سيدنا محمد ﷺ .

ثانياً ـ إنَّ من تأمل في أساليب حجته على عَبَدَةِ الأوثان ، ومن نظر في أدلته على اليهود النصارى ، وإلزامِهم الحجة وإفحامهم وإلقامهم حجر الخذلان ، تراءت له إشعاعاتٌ من عقليته الكبرى ﷺ ، وأيقن أنَّ عقله ﷺ أكمل العقول وأعلاها ، وأوسعها وأفضلها .

فهذا حُصَين والد عمران ، الذي يعبد سبعة أصنام في الأرض ، ويرى أنها آلهة ، وكان معظَّماً في قريش ، فجاؤوا إليه وقالوا له : كلِّم لنا هذا الرجل ـ أي : محمداً ﷺ ـ فإنه يذكر آلهتَنا ويسبُّهُم ، وجاؤوا معه

حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ .

فقال ﷺ : « أوسعوا للشيخ » أي : كبير السنِّ وهو حصين .

فقال حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك : أنك تشتم آلهتَنا وتذكرهم ؟

فقال ﷺ : « يا حصين ، كم تعبد مِن إله ؟ » .

قال : سبعاً في الأرض ، وواحداً في السماء .

فقال ﷺ : « فإذا مسَّكَ الضرُّ من تدعو ؟ » .

فقال حصين : أدعو الذي في السماء .

فقال ﷺ : « فإذا هلك المال من تدعو ؟ » .

فقال حصين : أدعو الذي في السَّماء .

فقال ﷺ : « فيستجيبُ لك وحده وتُشركهم معه ؟!! أرضيتَه في الشكر أم تخاف أن يُغلب عليك ؟!! » .

فقال حصين : لا واحدة من هاتين .

فقال ﷺ : « يا حصين أسلم تسلمْ » .

فقال : إنَّ لي قوماً وعشيرةً ، فماذا أقول ؟

فقال : « قل : اللهمَّ أستهديك لَأرْشَدِ أمري ، وزدني علماً ينفعني » .

فقالها حصين ، فلم يقم حتى أسلم .

فقام إليه عمران ابنه فقبَّل رأسَه ويديْه ورجلَيه .

فلما رأى ذلك النبيّ ﷺ بكى ، وقال : « بكيت من صنيع عمران ،

دخل حصين ـ أبوه ـ وهو كافر ، فلم يقم إليه عمران ولم يلتفتْ ناحيته ، فلما أسلم قضى حقه ، فدخلني من ذلك الرقَّة » .

فلما أراد حصين أن يخرج قال ﷺ لأصحابه : « قومُوا فشيِّعوه إلى منزله » أي : إكراماً له .

فلما خرج من سُدَّة الباب رأتْه قريش وقد أسلم ، فقالوا ، صبأ ، وتفرَّقوا عنه[1] .

وانظر في أسلوب حجته ﷺ مع الرجل الذي جاء يطلب منه أن يرخِّصَ له بالزِّنا ، كما ورد في (المسند) أنه ﷺ جاءه رجل يستأذنه في الزنا .

فقال له ﷺ : « أترضى أن يزنيَ الناسُ بأمك ؟ » فقال : لا .

فقال ﷺ : « وكذلك الناس يكرهون ـ أترضى أن يزنيَ الناسُ بأختك ؟ » فقال : لا .

قال ﷺ : « فكذلك الناس يكرهون » .

ثم قال ﷺ : « أترضى أن يزنيَ الناسُ بابنتك ؟ » فقال : لا .

قال ﷺ : « فكذلك الناس يكرهون » .

فقال : يا رسول الله أُشهدك أنني تُبْتُ من الزنا .

فانظر في لطافة هذا الأسلوب في الحجة ، ودقَّتها وقوَّة تأثيرها في النفوس !

---

(١) عزاه في (الإصابة) إلى ابن خزيمة بإسناده .

ثالثاً ـ إن حسن تأليفه ﷺ بين قومه الذين كانوا أشتاتاً منقسمين على بعضهم ، ورفعَه الخلافَ من بينهم ، وإبعاده إياهم عن الشحناء والبغضاء ، لا سيما في محازِّ الاختلافات ، ومثار العصبيَّات والقَبَلِيَّات ، إنَّ هذا لمن أكبر الشواهد على سعة عقله ﷺ ، وسموِّ فكره ، وإليك حادثةَ وضع الحجر الأسود في موضعه ، وتنازع قبائل العرب وتنافسهم ، وتزاحمهم على ذلك حتى هَمُّوا ببعضهم ، فلم يخرجهم من ذلك إلَّا رأيه السديد ﷺ ، حتى إنهم أصبحوا راضين ، وكان ذلك قبل بعثته ﷺ ، وله من العمر خمس وثلاثون سنة !

وذلك أنَّ قريشاً لما جدَّدت بناء الكعبة تنازعوا في رفع الحجر الأسود ، وتنافسوا رجاءَ أن تنالَ كل قبيلة شرف رفْعِه ووضعه في موضعِه ، وعَظُم القيلُ والقال بينهم ، ثم إنهم قالوا : نُحكِّم أوَّلَ داخل من باب بني شيبة ، فكان ﷺ أوَّلَ مَنْ دخل منه ـ فأخبروه .

فأمر ﷺ بثوبٍ فجيء به ، فوضع الحجرُ وسط الثوب وأمرَ كلَّ فخذٍ من أفخاذِ العرب أن يأخذوا بطرف من الثوب ـ أي : بجانب منه ـ فرفعوه كلُّهم ، فلمّا أنهَوْه إلى مقرِّه ، أخذه ﷺ فوضعه بيده في موضعه[1] .

فانظر كيف سلك بهم رسول الله ﷺ طريقَ الإنصافِ ليرفع من بينهم الخلاف .

---

(١) وقد روى هذه القصة أبو داود الطيالسي وابن راهويه وغيرهما ، كما في الجزء الأول من شرح المواهب .

رابعاً ـ ومن أعظم ما يدلُّ على أرجحيَّة عقله الشريف ﷺ وفرط ذكائه مواقفه اليقِظة مع المتصدِّين له بالعداوة ، وأخذُه بأنواع الحذر منهم ، وردُّه مكرهم عليهم ، ويظهر ذلك في الوقائع معهم ، ونقدِّم إليك نماذجَ موجزة :

١ ـ **أخذه بأسباب التحفظ من مكرهم وخديعتهم** : كما ورد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أُتي بي إلى النبي ﷺ مَقْدَمَه المدينة ـ أي حين : قدم المدينة ـ فقيل له ﷺ هذا من بني النجار ، وقد قرأ سبع عشرة سورة .

فقرأتُ عليه ﷺ ، فأعجبه ذلك .

فقال لي ﷺ : « تعلَّمْ كتابَ يهود ـ أي : كتابتهم ولغتهم ـ فإني ما آمنهم على كتابي » .

قال زيد : ففعلت ، فما مضى لي نصف شهر حتى حَذِقْتُه ، فكنتُ أكتب له إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له ﷺ [1] .

وقال في (الإصابة) : ورويناه في (مسند) عبد بن حُمَيد من طريق ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت قال : قال لي النبي ﷺ : « إني أكتب إلى قوم ، فأخاف أن يزيدوا أو ينقصُوا فتعلم السريانية » .

قال زيد : فتعلمتها في سبعة عشر يوماً .

وفي (خِطَط) المقريزي : كتابة السريانية قديمة ، لها أصل في

---

(١) عزاه الحافظ في (الإصابة) إلى البخاري تعليقاً ، وإلى البغوي وأبي يعلى موصولاً .

السنة ، فقد أخرج أبو بكر عبد الله بن أبي داود في كتاب (المصاحف) عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد ، فهل تستطيعُ أن تَعَلَّم كتاب العبرانيَّة ـ أو قال السريانية ؟ » .

فقلت : نعم ، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة .

فقد أمر ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم العبرانية ، ليكاتب اليهود بلغتهم ، وليأمن تلاعبهم في المكاتبات ؛ ولغير ذلك .

ومن ثَمَّ قيل : مَن تعلَّم لغةَ قومٍ أمِنَ مكرَهم .

٢ ـ إرساله ﷺ من يكشف عن عدد العدو وعدتِّه ، وأساليبه في معرفة ذلك :

فقد روى أبو داود الطيالسي وابن راهُوْيَهْ وغيرهما أنَّ النبي ﷺ بعث يوم بدر علياً كرَّم الله تعالى وجهه والزبير وسعد بن مالك في نفر إلى ماء بدر ، يلتمسون له الخبر عن العدو : عددِهم وعُدَّتِهم ـ فأصابوا راوية لقريش فيها غلام ـ أي : عبد مملوك ـ لبني الحجاج ، وغلام لبني العاص ، فجعلوا يسألونهما عن عدد القوم المشركين ، فطفِقَا يقولان : العدد كثير ، فأتَوْا بهما رسول الله ﷺ وهو يصلي ، فلمَّا سلَّم قال : « أخبِراني عن قريش » .

فقالا : هم وراء هذا الكثيب الذي تراه بالعُدْوة القصوى .

فقال ﷺ : « كم القوم ؟ » فقالا : كثير ،

فقال ﷺ « ما عِدَّتهم ؟ » قالا : ما ندري .

فقال ﷺ : « كم ينحرون ـ أي : من الإبل ـ كلَّ يوم ؟ » فقالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً .

فقال ﷺ لأصحابه : « القوم ـ أي : العدو ـ ما بين التسعمائة والألف » وكان الأمر كذلك[1] .

٣ ـ إرساله ﷺ من يكشف له عن خبر الأعداء ، من طريق خفي الحال والقال :

ومن ذلك إرساله حذيفةَ يوم الأحزاب ، وقوله : « يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ، ولا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأتينا » .

وفي رواية : « اذهب فائتني بخبر القوم ولا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأتيني »[2] .

٤ ـ إرساله ﷺ من يُخذِّل بين صفوف أعدائه مخادعة لهم ، واختياره الرجل المناسب لأن يتدخل بين العدو ، يخدعهم ويفرِّق شملهم

ومن ذلك : ما فعله ﷺ يوم الأحزاب ، حين أتاه نُعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه ، فقال : إني أسلمتُ ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فَمُرْني بما شئت .

فقال ﷺ : « إنما أنتَ فينا رجل واحد ، فخذِّل عنا إن استطعتَ ، فإنَّ الحرب خدْعة ، فاذهب فشتِّت جموعَ العدو وألْقِ بينهم بدهائك » .

---

(١) انظر شرح المواهب .

(٢) عزاه في شرح المواهب وغيره إلى ابن إسحاق .

فخرجَ حتى أتى بني قُريظة ـ وهم طائفة من اليهود ـ وكان لهم نديماً ، فقال : قد عرفتم ودِّي إياكم ، وخاصةَ ما بيني وبينكم .

قالوا : صدقتَ لستَ عندنا بمتَّهم .

فقال لهم : إن قريشاً وغَطَفان [1] ليسوا كأنتم ـ أي : مثلكم ـ البلدُ بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون أن تتحوَّلوا منه إلى غيره ، وإنهم جاؤوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليهم ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ـ أي : بغير بلدكم ـ فإن رأوْا نُهْزةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلَّوْا بينكم وبينه ـ أي : محمد وأصحابه ـ ببلدكم ، ولا طاقةَ لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقةً لكم ، على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه .

فقالوا لنعيم : لقد أشرتَ بالرأي .

ثم أتى نُعيم بن مسعود قريشاً ،فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم ودّي لكم وفراقي محمداً ؛ وإنه قد بلغني أمر رأيتُ حقاً عليَّ أن أبلغكموه ، نصحاً لكم فاكتموه عني .

قالوا : نفعل

فقال نُعيم : إن يهودَ ندموا على ما صنعوا ، وأرسلوا إلى محمد : إنا

---

(١) وقد جاؤوا من مكة ، وتجمعوا على جانب المدنية المنورة ، لمحاربة النبي ﷺ وأصحابه ، وتحالفت معهم بنو قريظة من اليهود المقيمين في المدينة على ذلك .

قد ندمنا على ما فعلنا ، أيُرضيك أن نأخذ من أشراف قريش وغَطَفان رجالاً نضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟

فأرسل إليهم ـ محمد ـ : نعم .

قال نُعيم : فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رهناً فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً .

ثم إن نعيماً أتى غَطفان فقال : إنكم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناس إليّ ولا أراكم تتهمونني ـ أي : بل أنا مصدَّقٌ عندكم ـ .

فقالوا : صدقتَ وما أنت عندنا بمتهم .

قال نعيم : فاكتموا عني .

قالوا : نفعل ، فقال لهم مثل ما قال لقريش .

وكان من صُنْعِ الله لرسوله ﷺ أن أبا سفيان ورؤوس غطفان أرسلوا إلى يهود من بني قريظة ، عكرمة في نفر من القبيلتين : إنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر ـ أي : الإبل والخيل ـ فاغدوا للقتال ، حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه .

فأرسلوا ـ أي : يهود بني قريظة ـ إليهم ـ إلى قريش وغطفان ـ : إن اليوم يوم السبت ، لا نعمل فيه شيئاً وكان قد أحدث فيه ـ أي : في السبت ـ بعضُنا حَدَثاً ، فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم ـ أي : مُسِخوا ـ ولسنا بمقاتلين معكم حتى تُعْطونا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن اشتدّ عليكم القتال ، أنْ ترجعوا إلى

بلادكم ـ مكة وما حولها ـ وتتركونا والرجل ـ أي : محمداً ـ ولا طاقة لنا به .

فقالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم به لَحَقّ ، فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً ، فأبَوْا عليهم .

وخذَّل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ شديدة البرد ، فأَكْفأت قدورهم ، وطرحتْ أبنيتهم [1] .

٥ ـ تعميته الأمور على أعدائه وتلبيس الأمور عليهم :

وكان ﷺ يُلبِّس أمور الحرب على أعدائه ويُعمِّيها عنهم ، كيلا يتفطنوا لها ، ويستعدوا للدفع ، أو يزيدوا في الجمع ، وفي ذلك حقن للدماء .

جاء في الصحيحين عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال : لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ـ أي : عزوة تبوك ـ غزاها في حرّ شديد واستقبل سفراً بعيداً ، وغزا عدداً كبيراً ، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهَّبوا أُهْبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ـ أي : فصرَّح لهم بالجهة التي يريدها ـ ولم يورِّ بغيرها .

كما أنه ﷺ لبَّس الأمر على أعدائه ليلة الهجرة ، حين قصدوا

---

(١) ذكر ذلك ابن إسحاق ، كما في شرح المواهب ، ولخص ذلك الحافظ ابن حجر في (الفتح) .

بيته ﷺ ليقتلوه ، فأمر علياً رضي الله عنه أن ينام في فراشه ﷺ ، ويتسجَّى ببردته ﷺ .

٦ ـ أخذه ﷺ بالأسباب التي فيها تخويف وإرهاب :

كان ﷺ يأخذ بالأسباب التي فيها إرهابُ أعدائه وتخويفُهم ، وذلك ليُضْعِفَ من حدَّتهم ، ويكفَّ من شرهم وضُرّهم ، وشراسة نفوسهم .

فقد ورد أن النبي ﷺ لما توجّه لفتح مكة ، وانتهى إلى مَرِّ الظَّهران ، أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش ، وترهبَ من كثرتها ، حتى قال أبو سفيان ومن معه حين رأوها من بعيد : لكأنها نيران عرفة ـ أي : في كثرتها ـ وكان ذلك مما ألقى الخوفَ في قلوبهم .

كما أمر ﷺ عمه العباس أن يُجلس أبا سفيان على الطريق عند مضيق خَطْم الجبل ، وذلك ليشاهد جيوش المسلمين وكتائبهم حين تمر عليه .

ثم جعلتْ تمرّ عليه كتيبةً كتيبة ، فجعل أبو سفيان يقول للعباس : مَنْ هذه الكتيبة يا عباس ؟

وطفِق العباس يخبره عن تلك الكتائب واحدةً واحدةً ، وذلك مما حمل أبا سفيان على التضامن والاستسلام ، إلى أن دخل في الإسلام .

٧ ـ انتقاؤه الشجعان الأكفاء لمقاومة المعارك العنيفة :

كان ﷺ ينتقي لخوض المعارك العنيفة أكْفاء الرجال من الأبطال ، حسب الاستعداد والمناسبة ، لخوض تلك المعركة الدامية ، ثم يتبين للصحابة بعد ذلك دقةُ نظره ﷺ في تعيين ذلك الرجل الذي انتقاه ، وصواب رأيه فيه .

فهذا يوم خيبر يقول ﷺ : « لأُعْطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ، ويفتح الله على يديه » .

فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو منه أن يُعطاها ،

فقال ﷺ : « أين علي بن أبي طالب ؟ » .

فقالوا : يا رسول الله هو يشتكي عينيه ـ فأرسل إليه ، فأُتيَ به وهو أرمد ، فبصق ﷺ في عينيه ودعا له فقال : « اللهم أذهِبْ عنه الحرَّ والقَرَّ » ـ أي : البرد ـ فبرأ كأنْ لم يكن به وجع .

وفي رواية البيهقي والطبراني عن علي كرَّم الله وجهه قال : فما رمدتُ ولا صُدعت مذ دفع إليَّ رسول الله ﷺ الراية يوم خبير .

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق : وكان علي رضي الله عنه يلبس القباء المحشوَّ الثخين في شدَّة الحر فلا يبالي الحرَّ ، ويلبس الثوب الخفيف في شدة البرد فلا يبالي البرد ، فسئل عن ذلك ؟ فأجاب بأن ذلك بدعائه ﷺ يوم خيبر .

وفي يوم أُحد لما اشتدت المعركة قال ﷺ : « مَنْ يأخذُ هذا السيف بحقه ؟ » .

فقام إليه رجال ، منهم : الزبير بن العوام فطلبه ثلاث مرات ، كل ذلك يُعرض عنه ، حتى قام إليه أبو دُجانة سماك بن خَرَشة فقال : وما حقُّه يا رسول الله ؟

قال : « أن تضرب به وجه العدو حتى ينحني » ـ وكان رجلاً شجاعاً

يختال عند الحرب ، فلما رآه ﷺ يتبختر قال ﷺ : « إنها لَمِشْيةٌ يُبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

قال الزبير : والله لأنظرنَّ ما يصنع أبو دجانة ، واتبعتُه ، فأخذ بعصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الأنصار : أخرج عصابة الموت ، فخرج وهو يقول :

أنـا الذي عـاهـدني خليـلي
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألاَّ أقومَ الدهرَ في الكيُّول[1]
أضربْ بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلا قتله ، قال الزبير : وكان في المشركين رجل لا يَدع لنا جريحاً إلا ذَفَّف عليه[2] فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة فاتَّقاه بدَرقته ، فعضَّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل عنها وقال : أكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة[3] .

---

(١) الكيول : بفتح الكاف وتشديد الياء : مؤخرة الصفوف .
(٢) بالذال المعجمة وبالمهملة : أسرع في قتله ، كما في شرح المواهب .
(٣) انظر شرح المواهب .

٨ ـ انتقاؤه الرسل الأذكياء العقلاء ليبعثهم إلى الأمراء والملوك ، يبلغون ، ويُدْلون بالحجج المعقولة ، والحِكَم المقبولة :

يشهد لهم بذلك حُسْن عرضهم في مواقفهم مع الملوك ، وقوة بيانهم وبرهانهم :

فهذا العلاء بن الحضرمي يبعثه رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوَى ، ومعه كتاب يدعوه إلى الإسلام ، فلما قدِم عليه قال له :

يا منذر إنك عظيم العقل فلا تصغُرنَّ في الآخرة ، إن هذه المجوسية شرُّ دين ، ليس فيها تكريم للعرب ، ولا عُلِمَ عند أهل الكتاب أنهم ينكحون ما يُستحيا من نكاحه ، ويأكلون ما يُتكرَّم عن أكله ، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، ولستَ بعديم العقل ولا الرأي ، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا تصدقه ؟ ولمن لا يخون أن لا تأمنه ؟ ولمن لا يُخْلِفُ أن لا تثقَ به ؟ .

فإن كان هذا هكذا : فهذا هو النبي الأميّ الذي ـ والله ـ لا يستطيع ذو عقل أن يقول : ليتَ ما أمر به نهى عنه ، وما نهى عنه أمر به ، أوليتَه زاد في عفوه ، أو نقص من عقابه إذْ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل ، وفكر أهل النظر .

فقال له المنذر : قد نظرت في هذا الذي في يدي ـ دين المجوسية ـ فوجدتُه للدنيا دون الآخرة ، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا ، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ؟! ولقد عجبتُ أمسِ ممن يقبله ـ أي : يدخل في الإسلام ـ وعجبتُ اليوم ممن يردُّه

ـ أي : لا يدخل فيه مع أنه المعقول ـ وإن من إعظام ما جاء به أن يُعظم رسوله ـ وسأنظر ؛ أي : فيما أصنع من الذهاب إلى هذا الرسول ﷺ ـ أو مكاتبته ، أو غير ذلك .

لافي أنه يُسْلم أو لا يُسْلم ، فإن قوله : وعجبتُ اليوم ممن يرده : اعترافٌ منه بأنه دين حق . اهـ كما في شرح المواهب وغيره .

وهذا المهاجر بن أبي أمية المخزومي ؛ شقيق أم سلمة أم المؤمنين ، بعثه رسول الله ﷺ إلى الحارث بن عبد كُلال أحد ملوك حمير ، فلما قدِم عليه المهاجر قال له :

يا حارث إنك كنتَ أول من عرض عليه المصطفى نفسه فَخَطِئْتَ عنه ، وأنتَ أعظم الملوك قدراً ، وإذا نظرتَ في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك ، وإذا سرك يومكَ فَخَفْ غدك ، وقد كان قبلك ملوك ذهبتْ آثارُها ، وبقيتْ أخبارُها ، عاشوا طويلاً وأمَّلوا بعيداً ، وتزودوا قليلاً ، فمنهم من أدركه الموت ، ومنهم من أكلته النِّقم .

وأنا أدعوك إلى الرب الذي إن أردتَ الهدى لم يمنعْك ، وإن أرادك لم يمنعه منك أحد ، وأدعوك إلى النبي الأمي الذي ليس شيء أحسنَ مما يأمر به ، ولا أقبحَ مما ينهى عنه .

واعلم أن لك رباً يميت الحي ، ويحيي الميت ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . اهـ كما في (الروض الأُنُف) .

٩ ـ معاملته ﷺ وحسن سياسته ، ومداراته للناس على مختلف طبقاتهم تأليفاً لهم ، واستمالتهم نحو الحق الذي جاء به ، بتلطيف الحال ولين المقال :

كما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « رأس العقل بعد الإيمان بالله : التودُّد إلى الناس »[١] .

وكان يداري السفهاء والحمقى ، ليكفَّ من غائلتهم وشرهم ، وليستميلهم ويجلب قلوبهم نحو السَّداد والرَّشاد :

ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال : « بئس أخو العشيرة ، وبئس[٢] ابن العشيرة » فلما جلس تَطَلَّق[٣] النبي ﷺ في وجهه ، وانبسط إليه .

وفي رواية : فلما دخلَ ألانَ له الكلام ، فلما انطلق الرجل قالت عائشة رضي الله عنها : (يا رسول الله حين رأيتَ الرجل قلتَ له كذا وكذا ، ثم انطلقتَ في وجهه ، وانبسطت إليه) ؟!

فقال ﷺ : « يا عائشة متى عهِدتِني فَحَّاشاً ؟ إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة مَنْ تركه الناس اتِّقاءَ شره » .

---

(١) رواه البيهقي والبزار ، وسنده ضعيف كما في (فيض القدير) وشرح المواهب ، وعزاه في (فتح الباري) إلى البزار بلفظ : « رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس » ، وتعقبه السخاوي بأن لفظ البزار « التودد إلى الناس » اهـ كما في شرح المواهب .

(٢) بالواو ، وفي رواية : بأو ، وهو شك من الراوي حينئذ .

(٣) قال في (الفتح) : أي : أبدى له طلاقة ، وفي رواية : بش اهـ .

وفي رواية : « اتقاءَ فحشه » أي : لأجل اتقاء قبح قوله وفعله ، فلما دخل هذا الرجل ، وكان يقال له الأحمق ـ أي : فاسد العقل ـ لم يقابله ﷺ بغلظة وفحش ، بل أَلانَ له القول ، وسلك معه مسلك المداراة .

ولذا قال العلماء : هذا الحديث أصل في المدارة ، وفرَّقوا بين المداراة المطلوبة ، وبين المداهنة المذمومة :

أن المداراة هي : بذل الدنيا لصلاح أمر الدنيا أو الدين ، أو صلاح الدنيا والدين معاً ، ومن ذلك البذل : لينُ الكلام ، وترك الإغلاظ في القول والرفق بالجاهل في التعليم ، والرفق بالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه مالم يُظهر ما هو فيه ، والانكار عليه بلطمة حتى يرتدع عما هو فيه[1] .

قال الإمام القسطلاني : وهي مباحة وربما استُحْسِنت .

قال الحافظ الزرقاني : وربما استُحسنت فكانت مستحبة أو واجبة .

وللديلمي في (الفردوس) عن عائشة مرفوعاً : « إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض » .

ولابن عدي والطبراني عن جابر مرفوعاً : « مداراة الناس صدقة »[2] اهـ .

وأما المداهنة فهي : بذل الدين لصلاح الدنيا ، وهي مذمومة ، وقد

---

(١) انظر شرح المواهب .

(٢) كلا الحديثين فيه ضعف ، كما في شرح المناوي .

نزَّه الله تعالى نبيه ﷺ عنها ، فقال : ﴿ ودُّوا لو تُدْهِنُ فيُدهنون ﴾ وإنما كان ﷺ يداري ولا يداهن .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يُقبل بوجهه على شرِّ القوم ، يتألَّفهم بذلك . . .) الحديث رواه الترمذي وغيره ويأتي بتمامه .

خامساً ـ ومن أعظم الأدلة على كمال عقله الشريف ﷺ وأرجحيَّته : سعةُ علومه ﷺ ، فقد أفاض الله تعالى عليه العلوم العظمى ، والمعارف الكبرى ، وأراه الآيات ، وأيَّده بالبيّنات ، وصدَّقه بالمعجزات ، وجمع له جميع أنواع الوحي الإلهي ، وذلك لا يقوم به ، ولا يقدر لتحمُّله إلا من خصَّه الله تعالى بأعظم قلب ، وأو سع عقلٍ ، ألا وهو السيِّد الأكرم ﷺ .

ومما ينبغي أن يُعلم في هذه المناسبة أن جميع ما جاء به رسول الله ﷺ من القضايا والأوامر ، والإرشادات والتعليمات ، والجزيئات والكليات ، هي أمانيُّ العقلاء والحكماء ، وغايات أهل النظر والفكر[1] ، ويتضح لك ذلك من وجوه :

الوجه الأول : إن موضع التكاليف الشرعية هو العقل ، حتى إذا فُقِد العقل ارتفع التكليف ، وهذا واضح في اعتبار تصديق العقل بالأدلة في لزوم أوامر التكليف ، فلو جاءت الأوامر الشرعية التي جاء

---

(١) كما أعلن ذلك العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه للمنذر بن ساوى حين أرسله رسول الله ﷺ بكتابه إليه واعترف له بذلك المنذر كما تقدم .

بها ﷺ على خلاف ما تقتضيه العقول السليمة ، لكان لزوم التكليف بها على العقلاء في غير موضعه .

الوجه الثاني : لو كانت أوامره ومناهيه وقضاياه غير معقولة ، لكان التكليف بها تكليفاً بما لا يُطاق ، لأنه تكليف بالتصديق بما لا يصدقه العقل .

الوجه الثالث : لو كان فيما جاء به ﷺ مناقضة للعقول ، لكان الكفار في زمنه أول من ردُّوا عليه بذلك ، لأنهم كانوا في غاية الحرص على ردِّ ما جاء به ﷺ ، حتى إنهم كانوا يفترون عليه وعلى شريعته ؛ فتارةً يقولون ساحر ، وتارة مجنون ، وتارة يكذبونه ؛ كما أنهم كانوا يقولون في القرآن : سحر وشعر ، وغير ذلك من كلامهم المتناقض ، فإن السحر والشعر كيف يتفق مع الجنون . . .!! .

فلو كانت قضاياه ﷺ غير معقولة لكان أولى ما يقولون : إن هذا لا يعقل ، أو مخالف للعقول ونحو ذلك ، وَلَما صَدَر منهم ذلك التناقض في قولهم ساحر وشاعر ونحو ذلك ! .

الوجه الرابع : إن جميع العقلاء والحكماء في زمنه ﷺ شهدوا بحقِّية ما جاء به ، وأنه المعقول المحكم ، ولذلك سلَّموا وأسلموا .

فهذا المنذر بن ساوى يقول : وما يمنعني من دين فيه أمنية الحياة ؟ كما تقدم .

وهذا النَّجاشي حين قال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : (إنا كنا قوماً أهلَ جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ،

ونقطع الأرحام ، ونُسيء الجوار ، ويأكل القوي فينا الضعيف ، حتى يبعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله عزَّ وجلَّ لنوحِّده ونعبده ، ونخلع ما كنا نحن وآباؤنا نعبد من دون الله : من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدقِ الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحق الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم) .

فقال النجاشي بعد ذلك : (مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشَّر به عيسى ابن مريم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيت هذا النبيَّ حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه) رواه أحمد ، وفي رواية للطبراني : (لأتيتُه حتى أقبِّل نعليه ﷺ) .

وهذا أكثم بن صيْفي يبعث جماعةً من قومه إلى النبي ﷺ حين بلغه مخْرج النبي ﷺ ، فأتيا النبي ﷺ فقالا له : نحن رُسُل أكثم بن صيفي ، وهو يسألك : من أنت ؟ وما أنت ؟ وبمَ جئت ؟

فقال ﷺ : « أما : من أنا ؟ فأنا محمد بن عبد الله .

وأما : ما أنا ؟ فأنا عبد الله ورسوله ، جئتكم بقول الله تعالى :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكَّرون ﴾» .

فقالا : ردِّد علينا هذا القول ، فردَّده عليهم حتى حفظوه .

فأتيا أكثم فقالا له : أبى أن يرفع نسبه ، فسألْنا عن نسبه ، فوجدناه

زاكيَ النسب وَسَطاً في مضر ـ أي : شريفاً ـ، وقد رمى إلينا بكلمات ، قد سمعناها ، فلمَّا سمعهنّ أكثم قال : إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ، ولا تكونوا فيه أذناباً[1] .

فجميع ما جاء به رسول الله ﷺ هو المعقول المحْكَم ، لذا استسلمتْ له أهل الأفكار والعقول ، ولا يمكن أن يكون فيما جاءَ به ﷺ متناقضات عقلية ، أو محالات فكرية أصلاً ، ولكن قد يأتي بعظائم من الحكمة العالية السامية ، التي تعجز العقول البشرية عن الإحاطة بها ، واستيعاب جميع أسرارها لضعف العقول عن ذلك ، كما تضعف الأبصار عن التحديق في ضياء الشمس ، والإحاطة بنورها ، وإنما ترى الأبصار من نور الشمس مالا يسَعها إنكاره ، ولكنها لا تستطيع إدراكه وإحاطته .

فالشريعة المحمدية هي أحكام الله تعالى ، وإن أحكام الله تعالى صادرة عن علمه سبحانه وحكمته ، وأنَّى للمخلوق أن يحيط علماً بذلك كله ؟! .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير : رواه أبو يعلى في كتاب : (معرفة الصحابة) .